لا

دين المسيح لم ينسخ

اسكندر جديد

السؤال الأول: لماذا تؤمنون أنّ عيسى مات مقتولاً، والقرآن يقول رفعه الله؟ **٣**
السؤال الثاني: هل نسخ الإسلام جميع الديانات التي سبقته؟ **٣**
مسابقة كتيّب: «لا دين المسيح لم يُنسخ» **٥**

لا دين المسيح لم يُنسَخ

السؤال الأول: لماذا تؤمنون أنّ عيسى مات مقتولاً، والقرآن يقول رفعه الله؟

صحيح أنّ القرآن يقول ان الله رفعهُ ولكن بعد الوفاة إذ يقول: «إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا» (آل عمران ٣:٥٥)

ولكن مع وضوح هذا النص، فإنّ علماء المسلمين اختلفوا في تفسير معناه. ففريق منهم يقول، ان الوفاة هنا لا تعني الموت، بينما طائفة أخرى تقول، إنه مات فعلاً. ولهم في ذلك روايات شتى، يسردونها بالإسناد منها:

١ – النوم: عن المثنى قال، حدثني إسحاق قال، حدثنا عبدالله بن جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: «إني متوفيك» قال: «يعني وفاة النوم. رفعه الله في منامه» (شرح الطبري ٧١٣٣).

٢ – الوفاة من الدنيا: عن علي بن سهل قال، حدّثنا ضميرة بن ربيعة، عن ابن شوذب، عن مطر الوراق، في قوله: «إني متوفيك» قال: «متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت». (الطبري ٧١٣٤).

٣ – القبض: عن يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «إني متوفيك» قابضك (الطبري ٧١٣٩).

أما الفريق الثاني، فيقرّ أن الوفاة هنا وفاة موت، ولهم في ذلك عدة روايات:

١ – عن المثنى قال، حدثنا عبدالله بن صالح قال، حدثنا معاوية عن علي، عن ابن عباس، قوله: «إني متوفيك» يقول: «إني مميتك» (الطبري ٧١٤٢).

٢ – عن ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن اسحق، عن وهب بن منبه التيماني، انه قال: «توفّى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار، حتى رفعه إليه» (الطبري ٧١٤٢).

٣ – عن ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن اسحق قال نقلاً عن النصارى انّ الله توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه الله (الطبري ٧١٤٣).

وقال فريق ثالث ان الوفاة هنا، تعني التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم. وهذا الفريق يستند على حديث متواتر، عن محمد، انه قال: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال. ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها – اختلف الرواة في مبلغها – ثم يموت فيصلّي عليه المسلمون ويدفنونه» (الطبري ٣/٢٠٤).

فنظراً لتضارب الآراء عند مفكري الإسلام، واختلافهم في تفسير آي القرآن عن آخرة المسيح، لا يستطيع الباحث المخلص إلا أن يتجه إلى نصوص الإنجيل، التي لا تناقض فيها، بخصوص موت المسيح وقيامته وصعوده.

في الحقيقة أنّ هناك نصوصاً في القرآن من شأنها أن تحسم الأمر تماماً لولا تمسّك بعض المفسّرين بحرفية القول: «وما قتلوه وما صلبوه». وفي مقدمة هذه النصوص القول: «وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (المائدة ٥:١١٦-١١٧)

السؤال الثاني: هل نسخ الإسلام جميع الديانات التي سبقته؟

لقد شاع بين عامّة المسلمين رأي غريب، مفاده أنّ القرآن نسخ التوراة والإنجيل وبالتالي أنّ الإسلام نسخ دين الله في التوراة والإنجيل. وقد تحمّس كثيرون لهذا الرأي وطلعوا علينا باستنتاجات مذهلة، إذ قالوا إنّ كلّ نبيّ في أيّام موسى وبعده كان على شريعة موسى وتابعاً لكتابه إلى زمن المسيح. وكلّ نبيّ في زمن المسيح وبعده كان على شريعة المسيح وتابعاً لكتابه إلى زمن محمّد. أمّا شريعة محمّد فلن تُنسَخ إلى يوم القيامة.

ونقرأ في كتاب «هداية الطالبين إلى أصول الدين» للمولى محمّد تقيّ الكاشاني الفارسيّ أنّ مجموعة من علماء الإسلام قرّروا أنّ محمّداً نبيّ هذا الزمان، ودينه ناسخ لأديان الأنبياء السابقين.

وردّاً على ذلك أقول إنّ هذا الادّعاء لا يستند على حقّ، لأنّ القرآن لم يشر إلى هذا الموضوع. وكذلك الحديث لم يتكلّم عنه. وبذلك يكون هذا الادّعاء مجرّداً من أيّ سند. وهو رأيٌ، إن كان لا يقلب تعليم القرآن رأساً على عقب، فهو على الأقلّ يشوّشه، ويحاول أن يجعله يتكلّم بما ليس فيه.

وهذا الإدّعاء لا يستطيع أن يقف أمام الحقيقة، لأسباب كثيرة، منها:

١ – إنّ النّسخ معناه الإبطال ورفع الحكم، وهذا لا ينطبق على نصوص التوراة والإنجيل، لأنّ حكمهما لا يزال قائماً ومعمولاً به لدى مئات الملايين من بني البشر في جميع أنحاء العالم، وتعمل بموجب أحكامهما أعظم دول العالم ذات السيادة والتقدّم في مجالات العلوم والاكتشافات. وأيضاً، مَن يستطيع أن ينكر أنّ جميع الشعوب، تدين بمدنيّتها القائمة لانتشار التوراة والإنجيل في أقطارها؟

٢ – لو كان القرآن جاء ناسخاً للتوراة والإنجيل ومبطلاً لأحكامهما لَما كان يحضّ بشدّة أهلهما على إقامة شرائعهما واتّباع عقائدهما ولا كان قال: «يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ» (المائدة ٥:٦٨). ولكان أحرى به أن يقول: يا أهل الكتاب لستم على شيء، حتّى تقيموا القرآن، عوضاً عن التوراة والإنجيل، اللذين نسخهما.

ولو كان القرآن قد جاء ناسخاً للإنجيل لما صحّ أن يقول: «وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ» (المائدة ٥:٤٧).

ولو كان الله يريد أن ينسخ التوراة والإنجيل بالقرآن لصار من غير الجائز أن يقول القرآنُ لمحمّد: «وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ ٱلتَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ» (المائدة ٥:٤٣).

وإن كان الله قد أرسل محمّداً لينسخ دين موسى والمسيح، فهل يكون منسجماً مع نفسه إن قال له: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَٱسْأَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَأُونَ ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» (يونس ١٠:٩٤).

٣ – كان من المعقول أن يُقال، إنّ القرآن نسخ التوراة والإنجيل وحلّ محلّهما، لو كان القرآن قد احتوى كلّ ما في الكتابَين من أحكام وطرق إلهيّة للخلاص، أو جاء بأحسن ممّا فيهما من تعاليم لرفع مستوى الجنس البشريّ. أمّا وأنّ قصص الأنبياء، والتشريعات الواردة في القرآن بإيجاز واختصار، وردت في التوراة والإنجيل بتفصيل، جعلهما في كلّ العصور مرجعاً صالحاً لتوضيح الأمور، فلا غنى للبشر عنهما في أيّ جيل أو عصر. والقرآن نفسه يشهد بذلك إذ يقول «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَٱسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» (النحل ١٦:٤٣).

قال الجلالان: «إنّ أهل الذِكر هم العلماء بالتوراة والإنجيل (إن كنتم لا تعلمون) ذلك فإنّهم يعلمونه»(الجلالان في تفسير الآية).

ثمّ نقرأ في القرآن: «نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلأَوَّلِينَ» (الشعراء ٢٦: ١٩٣-١٩٦).

ومعنى هذا أنّ التوراة والإنجيل يحتويان كلّ ما جاء

في القرآن من أحكام وشرائع وتعاليم روحيّة، بحيث لا يمكن أن يُنسَخا، لأنّهما شريعة الله.

لعلّ فكرة النسخ وجدت قبولاً عند العامّة وبعض من الخاصّة، لأنّ المدّعين بها استندوا على النقد التاريخيّ القائل على ألسنة ملاحدة أوروبّا إنّ كلام التوراة عن عدد أيّام الخليقة وخلق آدم يناقض العلم الحديث. ولكن هل ينسى المسلمون الذين وافقوا هؤلاء النقّاد الأوربّيين في هذا الموضوع أنّ ما جاء في التوراة عن أيّام الخليقة ورد أيضاً في القرآن، إذ يقول: «إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» (يونس ١٠:٣). «خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ» (الرحمان ٥٥:١٤).

وهناك قول على الإنجيل مفاده إنّ علماء النقد التاريخيّ قالوا إنّ الإنجيل لم يُنقَل بالضبط التامّ عن المسيح، ثمّ أنّ مرقس ولوقا لم يكونا من تلاميذ المسيح ولم يرياه، لذلك لا يُعتَمَد على كلامهما. وأيضاً يوحنّا كتب إنجيله بعد خمسين سنة من صعود المسيح، فلا يمكن التسليم بأنّه كان مستحضراً في خاطره جميع ما قاله المسيح وما فعله تماماً، بعد تلك المدّة.

وردّاً على هذا، نسأل مرّة أخرى: إن كان الإنجيل لم يُنقل بالضبط التامّ عن المسيح، وأنّ كتابة مرقس ولوقا لا يُعوَّل عليهما، وإن كان يوحنّا لم يستطع استحضار كلّ ما قاله المسيح وفعله على حقيقته، فما هو إذاً الإنجيل الذي جاء القرآن مصدّقاً له؟ وهناك أمر يجب أن نشير إليه، وهو أنّه في القرآن روايات عديدة عن خلق العالَم، وتكوين الإنسان، فهل كانت المدّة بين تكوين هذه ونزول القرآن أقرب من المدّة بين صعود المسيح وكتابة يوحنّا لإنجيله الذي أوحي به إليه؟

وبالحقيقة فإنّ النسخ غير وارد إطلاقاً بالنسبة للتوراة والإنجيل، بل هو خاصّ ببعض نصوص القرآن. وعلماء المسلمين لم ينكروا هذا الأمر، فقد قال أحد أعلامهم وهو السيوطيّ: «النسخ ممّا اختصّت به هذه الأمّة». والواقع أنّ النسخ في القرآن، جاء ذكره في موضعَين:

الأوّل: «مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا» (البقرة ٢:١٠٦). وقد فسّر الطبريّ هذه الآية هكذا: «ما ننسخ من آية فنغيّر أحكامها، ونبدّل فرضها، نأتي بخير من التي نسخناها، أو مثلها» (الطبري في تفسير الآية).

وقال الجلالان بتفسيرها: «لمّا طعن الكفّار في النسخ وقالوا إنّ محمّداً يأمر أصحابه اليوم بأمرٍ وينهى عنه غداً، نزل: «ما ننسخ من...» الآية: ما شرطيّة – ننسخ من آية أي نزيل حكمها: إمّا مع لفظها أوْ لا. (وفي قراءة بضمّ النون نُنْسِخُ (مِنْ أَنْسَخَ) أي نأمرك أو جبريل بنسخها – ننسها – أي نؤخّرها، فلا نُنزِل حكمها ونرفع تلاوتها. أو نؤخّرها في اللوح المحفوظ. وفي قراءة أخرى بلا همز، من النِّسيان أي نُنسِكها، أي نمحُها من قلبك وجواب الشرط نأتي بخير منها» (الجلالان في تفسير الآية).

الثاني: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ» (الحج ٢٢:٥٢). جاء في تفسير الجلالين: «قرأ النبيّ بمكّة سورة النجم ٥٣:١٩–٢٠ فلمّا بلغ: أفرأيتم اللاّت والعُزّى ومَناة الثالثة الأخرى، بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه... تلك الغرانيق العُلى وإنّ شفاعتهنّ لتُرتجى. فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير، قبل اليوم. فسجد وسجدوا. فنزلت الآية: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ... الآية»(الجلالان في تفسير الآية).

روى ابن حاتم عن ابن عبّاس فقال: «ربّما نزل الوحي على النبيّ في الليل ونسيه في النهار. فنزلت الآية: «ما ننسخ من آية أو ننسَها نأتِ بخيرٍ منها».

فاستناداً إلى هذه الشروح والتعليقات التي دوّنها العلماء بالإسناد، تتفنّد الدعوى بأنّ الزبور جاء ناسخاً للتوراة، وأنّ الإنجيل جاء ناسخاً للزبور، وأنّ القرآن جاء ناسخاً للإنجيل.

قال الحاجّ رحمة الله الهنديّ في كتابه «إظهار الحقّ»: «القول بنسخ التوراة بنزول الزبور، ونسخ الزبور بظهور الإنجيل، ونسخ الإنجيل بنزول القرآن، لا أثر له في القرآن ولا في الحديث». صدق هذا العالِم فيما قاله. لأنّ القرآن، عكساً لادّعاء المدّعين بالنسخ، ينقض هذه المزاعم من أساسها، إذ يقول:

«شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» (الشورى ٤٢:١٣).

أمّا وهذا هو رأي القرآن في الدين الذي جاء قبله، فقد أصبح من سخف الادّعاء أن يقول أحد إنّ القرآن نسخ الكتاب المقدّس، وبالتالي إنّ الإسلام نسخ ما سبقه من دين الله في التوراة والإنجيل. وأنا لا أفهم كيف أنّ مسلماً، يجيز لنفسه التسليم بهذا الزعم، بينما من أهداف قرآنه الرئيسيّة أن يهديه إلى سنن أهل الكتاب إذ يقول: «يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (النساء ٤:٢٦).

كما يقول في سورة البقرة ٢:١٣٦: «قُولُوا آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ».

فالمسلم، بحسب هذا النصّ، مُطالبٌ أن يؤمن بشريعة الأنبياء الذين جاءوا قبل القرآن. الأمر الذي يجعل التسليم بفكرة النسخ مخالفة كبرى لتعليم القرآن الذي يشدّد على القول: «لا نفرّق بين أحد من رسله».

قال الطبريّ في شرح «ما أوتي موسى وما أوتي النبيّون» يعني بالتوراة التي أتاها موسى، وبالإنجيل الذي أتاه عيسى، والكتب التي أتى بها النبيّون كلّهم. وأقررنا وصدّقنا أنّ ذلك كلّه هدى وحقّ ونور من عند الله: أنّ جميع مَن ذكر الله من أنبيائه على حقّ وهدى، يصدّق بعضهم بعضاً، على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته».

وكيف يكون القرآن ناسخاً للكتاب المقدّس، وهو القائل إنّه جاء مصدّقاً لما فيه. إذ يقول: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ» (البقرة ٢:٨٩). هذه الشهادة صريحة، لا يمكن التصرّف بتفسيرها، أو تحوير معناها، لأنّ التصديق لا يمكن أن يتّفق مع النسخ الذي هو الإبطال. أو بتعبير آخر لا يصحّ أن ينسخ كتابٌ كتاباً جاء لتصديقه.

وجاء في سورة آل عمران: «نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ» (آل عمران ٣:٣ و٤)، ويقول تفسير الجلالين: «قبل تنزيل القرآن جاء التوراة والإنجيل هاديين من الضلال». أمّا الطبريّ فيقول «القرآن جاء مصدّقاً لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله، ومحقّقاً ما جاءت به رسل الله من عنده. لأنّ مُنَزِّل جميع ذلك واحد. فلا يكون فيه اختلاف. وأنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى... من قبل هدى للناس بياناً للناس من الله فيما اختلفوا فيه».

فإن كان الهدى الإلهيّ لم يُبطَل، فالكتب التي أوحى بها الله للهداية لا يمكن أن تبطل، لأنّ العالم ما زال في حاجة إليها، لتُخرِجه من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة الصحيحة.

لا يوجد في نصوص القرآن ما يشير إلى أنّه نسخ الكتاب المقدّس ولا أبطل شرائعه، بل على العكس نراه يحضّ أهل التوراة والإنجيل على إقامة أحكامه الإلهيّة بإخلاص. وقد أجمع ثقات المفسّرين كالزمخشريّ والبيضاويّ والجلالين، على أنّ القرآن لم يأتِ ناسخاً للكتب الإلهيّة التي جاءت قبله.

كتب لنا أحد الشبّان ما ملخّصه أنّ القرآن كمال النبوّة، وأنّ محمّداً خاتم الأنبياء، لذلك فإنّ القرآن ينسخ التوراة والإنجيل، والإسلام يبطل الأديان الأخرى كلّها.

لعلّ هذا الشابّ كالكثيرين، الذين تعوّدوا ترديد ما قاله بعض المغرضين، الذين غايتهم صرف الناس عن تلاوة التوراة والإنجيل والتمتّع بما فيهما من بركات، والاسترشاد بما فيهما من تعاليم روحيّة تقرّب الناس إلى الله، وهم في خدمة غاياتهم يتجاهلون النصوص

القرآنيّة التي تنوّه بالكتاب المقدّس العزيز، وتجعله إماماً للكتب ورحمة للعالَمين، كما في الأحقاف ١٢. وتجعل المؤمنين الذين يقيمون أحكامه بإخلاص قدوة كما في الأنعام ٩٠. وتعتبره المرجع الصالح، لإزالة الشكوك كما في يونس ٩٤. ونصوص أخرى كثيرة تقول إنّ القرآن جاء مصدّقاً للكتاب المقدّس ومهيمناً عليه ومؤيّداً له، بحيث يصبح من الغرابة والتجنّي أن يدّعي أحد بأنّه نسخه وأبطل ما فيه من تعاليم دينيّة يؤمن بها عدّة مئات من ملايين البشر.

إنّ مَن يقرأ الكتاب المقدّس بإمعان يرى أنّ تعاليم أسفاره الإلهيّة متّفقة فيما بينها تماماً، وأنّ لها اتّجاهاً واحداً هو إعلان مقاصد الله لبني البشر. فليس في آياتها البيّنات ناسخ ولا منسوخ. ففي أسفار العهد القديم نتعلّم كيف خلق الله العالَم، وكوّن الإنسان، وكيف دخلت الخطيّة إلى العالم. ثمّ يلي ذلك الوعد الإلهيّ بمخلِّص يأتي من نسل المرأة عند ملء الزمان. وبانتظار ذلك أقام الربّ الإله ميثاقاً مع إبراهيم أكّد فيه أنّ المخلِّص سيأتي من ذرّيّته، ثمّ تجدّد هذا الوعد لإسحاق ويعقوب. وراود طيف المخلِّص الإلهيّ رؤى النبيّين، وتردّد على ألسنتهم عبر الأجيال.

وأعطى الله الناموس لموسى وفيه هذه المواعيد العظمى والثمينة. فاكتحلت رؤى الأنبياء الذين أعقبوا موسى بطيف المخلِّص الآتي باسم الربّ، فجاءت الأسفار التي كتبوها متّفقة مع ما كتبه موسى. وقد بسط بعضهم الطريقة التي سيأتي بها المخلِّص الإلهيّ، والعجائب التي سترافق تعاليمه وموته الكفّاريّ، حتّى أنّ بعضهم ذكر اسم البلدة التي سيولد فيها. أمّا الإنجيل فقد بسط أحداث حياة المخلِّص وتعاليمه وموته وقيامته وصعوده، كمتمّمة للنبوّات التي وردت في التوراة والمزامير.

وكلّ مَن يقرأ توراة موسى ويتأمّل في رموزها وذبائحها، يدرك قصد الله من حيث نعمته، فيميل إليه ويتعبّد له، وتتّجه أشواق قلبه إلى المخلِّص الآتي، ويجد فيه ما يتجاوب مع هذه الأشواق. وقد أشار الرسول بولس إلى أشواق أتقياء الله في العهد القديم، وقال إنّهم ماتوا على رجاء الخلاص: «فِي ٱلْإِيمَانِ مَاتَ هٰؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا ٱلْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيَّوْهَا» (عبرانيّين ١١:١٣).

وفي أسفار الأنبياء والمزامير النبويّة وضحت هذه الرؤى أكثر، حتّى أنّ بعضاً من رجال الله أخبر بأنّ الله منذ البدء أفرز له جماعة، وهذّبهم شيئاً فشيئاً، صابراً على غلاظة قلوبهم وشرّ أفعالهم، وأمرهم بإقامة طقوس ومناسك عبادة، توصُّلاً إلى قصدٍ معلوم وهو إيجاد حدٍّ فاصل مميّز بين اليهوديّة والوثنيّة، إلى أن يأتي المخلِّص الموعود به بركة لكلّ الأمم. إلاّ أنّ تلك الرسوم، وإن كانت قد وُضعت بأمرٍ إلهيّ، فهي لا تفيد شيئاً ما لم تقترن بحياة مقدّسة ومكرّسة لله.

وقد أُعلِنَت هذه الحقيقة لميخا النبيّ، أثناء حيرته وتساؤله إن كان الله يرضى بالمزيد من الذبائح والمحرقات والقرابين على اختلاف أنواعها. إذ قال الله: «قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ ٱلرَّبُّ، إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ ٱلْحَقَّ وَتُحِبَّ ٱلرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعاً مَعَ إِلٰهِكَ» (ميخا ٦:٨).

لقد كانت جميع الطقوس والشعائر الموسويّة من ذبائح ومحرقات وبخور وغسولات رموزاً إلى حقائق تمّت في ملء روحانيّة العهد الجديد، الذي صار المسيح ضامناً له، لكلّ من يؤمن به، أيّاً كان شعبه أو جنسه أو لسانه أو لونه، وفقاً لما قيل بالأنبياء: «لَا يَسُوؤُونَ وَلَا يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لِأَنَّ ٱلْأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ ٱلرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي ٱلْمِيَاهُ ٱلْبَحْرَ» (إشعياء ١١:٩).

فالعهد الجديد لم ينسخ العهد القديم، وإنّما شرحه وتمّمه، وأبرزه في شكله الروحيّ الذي يلائم الناس في كلّ زمان ومكان.

والذي أتمنّى أن يتوضّح لكلّ إنسان هو أنّ ناموس التوراة يحتوي نوعين: ناموس الفرائض، والناموس الأخلاقي. الأوّل: أُعطي لجماعة العهد القديم مؤقّتاً لعزلهم عن الأمم الوثنيّة، بانتظار أن يأتي المخلِّص بالنعمة والحقّ، قبل سقوطهم كلّيّاً في رجاسات الأوثان.

وقد أشار الرسول بولس إلى ذلك بقوله: «ٱلْعَهْدُ ٱلْأَوَّلُ كَانَ لَهُ أَيْضاً فَرَائِضُ خِدْمَةٍ... ٱلَّذِي هُوَ رَمْزٌ لِلْوَقْتِ ٱلْحَاضِرِ، ٱلَّذِي فِيهِ تُقَدَّمُ قَرَابِينُ وَذَبَائِحُ لَا يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ ٱلضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ ٱلَّذِي يَخْدِمُ، وَهِيَ قَائِمَةٌ بِأَطْعِمَةٍ وَأَشْرِبَةٍ وَغَسَلَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَفَرَائِضَ جَسَدِيَّةٍ فَقَطْ، مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ ٱلْإِصْلَاحِ» (عبرانيّين ٩:١-١٠). وقد أُعلِن بإشعياء أنّ تلك الذبائح والقرابين المادّيّة كانت تشير إلى حمل الله، يسوع الفادي الذي هو غاية الناموس (قابِل إشعياء ٥٤ برؤيا ٣:١٨). وحيث أنّ الذبح العظيم الذي كانت الذبائح كلّها ترمز إليه، قُدِّم ذبيحة إثمٍ لرفع خطيّة العالَم، فإنّ المسيحيّين، لا يقدّمون ذبائح كفّاريّة، لأن المسيح ذبيحتهم الكاملة.

والمدهش في الأمر هو أنّ اليهود كفّوا اضطراراً عن تقديم الذبائح الحيوانيّة الكفّاريّة، لأنّ ناموسهم يأمرهم بأن لا يقدّموا هذا النوع من الذبائح إلاّ في أورشليم وفي الهيكل نفسه. وهذا قد هُدِم، ونُقِضَت حجارته، ولا سبيل إلى إعادة مجده لأنّ تابوت العهد وما كان يحتويه قد اندثر.

أمّا الناموس الأخلاقي فهو أزليّ يجب إقامة أحكامه في كلّ مكان وزمان، لأنّ الوصايا التي يتضمّنها هي الدستور الإلهيّ الذي يحدِّد علاقة الإنسان بالله، وكلّ مخالفة لأحكامها تعدٍّ على الله. وهذه الوصايا لم ينسخها المسيح بإنجيله، بل شرحها وأعطاها قوّة وأكملها بعمل الفداء الذي أتمّه على الصليب.

إنّ كلّ تعاليم الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد ثابتة لا تقبل النسخ، لأنّها تمثّل للبشر إرادة الله الصالحة المرضيّة الكاملة. ممّا يؤكّد لنا أنّ طريق الله للخلاص واحدة في كلّ زمن وكلّ بلد وكلّ أمّة. وسيُدان كلّ الذين لم يؤمنوا بالمسيح، الذي تهلّل إبراهيم أن يرى يومه.

مسابقة كتيّب: «لا دين المسيح لم يُنسخ»

أيها القارئ العزيز،

إن تعمّقت في قراءة هذا الكتيّب تستطيع أن تجاوب على الأسئلة بسهولة. ونحن مستعدون أن نرسل لك أحد كتبنا الروحية جائزة على اجتهادك. لا تنسَ أن تكتب اسمك وعنوانك كاملين عند إرسال إجابتك إلينا.

١ – ماذا يقول القرآن عن آخرة المسيح؟
٢ – هل اتفق علماء الإسلام حول آخرة المسيح؟
٣ – بماذا أقرّ الفريق الثاني من علماء الإسلام؟
٤ – هل في القرآن ما يؤيّد حقيقة موت المسيح؟
٥ – إلى أي الكتب نتّجه لمعرفة آخرة المسيح؟
٦ – هل في القرآن والحديث ما يؤيّد بدعة النسخ؟
٧ – هل يُطبَّق النسخ على التوراة والإنجيل؟ ولماذا؟
٨ – بماذا يأمر ويحض القرآن؟
٩ – ماذا تفهم من النص ٧١ من سورة المائدة؟
١٠ – ماذا تفهم من النص ٥٠ من سورة المائدة؟
١١ – هل يمكن أن يستغني البشر عن كتاب الله التوراة والإنجيل؟
١٢ – لمن أشار القرآن بقوله: أهل الذكر؟
١٣ – اكتب معنى كلمة السيوطي عن النسخ؟
١٤ – ما هو المطلوب من المسلم بحسب سورة البقرة ١٣٦؟
١٥ – ماذا يجد المتمعّن في قراءة الكتاب المقدس؟
١٦ – ماذا يقول الله لنا بلسلان ميخا النبي؟
١٧ – ما الذي فهمته من كلام بولس في عبرانيين ٩:١-١٠؟
١٨ – لمن كانت تشير الذبائح والقرابين في العهد القديم إذا؟
١٩ – هل نسخ المسيح ناموس الله الأدبي في التوراة؟
٢٠ – ماذا سيحل بكل الذين لم يؤمنوا بالمسيح؟

أرسل أجوبتك بخط واضح وعنوان كامل إلى:

The Good Way P.O.BOX 66 CH-8486 Rikon Switzerland دار الهداية

الشواهد القرآنية

سورة البقرة

١٠٦:٢ . . . . . ٤

١٣٦:٢ . . . . . ٤

٨٩:٢ . . . . . ٤

سورة آل عمران

٣:٣ و٤ . . . . . ٤

٥٥:٣ . . . . . ٣

سورة النساء

٢٦:٤ . . . . . ٤

سورة المائدة

١١٦:٥–١١٧ . . . . . ٣

٤٣:٥ . . . . . ٣

٤٧:٥ . . . . . ٣

٦٨:٥ . . . . . ٣

سورة يونس

٣:١٠ . . . . . ٤

٩٤:١٠ . . . . . ٣

سورة النحل

٤٣:١٦ . . . . . ٣

سورة الحج

٥٢:٢٢ . . . . . ٤

سورة الشعراء

١٩٣:٢٦–١٩٦ . . . . . ٣

سورة الشورى

١٣:٤٢ . . . . . ٤

سورة الرحمان

١٤:٥٥ . . . . . ٤

إشعياء

٩:١١ . . . . . ٥

ميخا

٨:٦ . . . . . ٥

عبرانيين

١٣:١١ . . . . . ٥

١٠-١:٩ . . . . . ٥